معهد التخطيط القومى فى يوبيله الذهبى

محمد
محمود
الإمام

آخر تحديث: الأربعاء 29 سبتمبر 2010 - 10:02 ص بتوقيت القاهرة

قبل عشرة أيام احتفل معهد التخطيط القومى بيوبيله الذهبى (1960/2010). وقد أعادت هذه المناسبة إلى ذاكرتى تلك الأيام التى كنت أعمل فيها بعض الوقت ــ إضافة لمهام التدريس بالجامعة ــ فيما يسمى بلجنة التخطيط القومى المنشأة فى 1955 كجهاز تابع لرئاسة الجمهورية، وشاركت فى إعداد خطة التنمية الاقتصادية والاجتماعية 60/1961/64/1965، وأعددت إطار الخطة العشرية التى امتدت حتى 69/1970. وكانت اللجنة تتكون من شعب مقسمة إلى وحدات، ظهرت حاجتها لكيان قائم بذاته لإجراء الدراسات والبحوث تساند أعمالها. فكلفنى د.إبراهيم حلمى عبدالرحمن، سكرتير عام اللجنة، بتشكيل مجموعة للبحوث الاقتصادية ضمت د. السيد حافظ عبدالرحمن ود. أحمد حسنى أحمد وكان زميلا لى فى التدريس بالجامعة. غير أننى شعرت بأن قضية البحوث تحتاج إلى جهاز مستقل، يقوم أيضا بتدريب العاملين فى مختلف أجهزة الدولة على ما يستجد من أساليب علمية. واستشار الدكتور حلمى خبراء عالميين، منهم شارل برو الذى كان يدير مركزا للدراسات الاقتصادية والبرمجة بباريس لتدريب الفرنسيين وأبناء الدول النامية على الأساليب الرياضية للتخطيط، كما كان يقدم لمصر المشورة فى مجال التدفقات المالية، وجان تنبرجن الأستاذ الهولندى بجامعة روتردام وبمعهد الدراسات الاجتماعية بلاهاى، والحائز جائزة نوبل فى التنمية، وكان يعاوننا فى معالجة نماذج التخطيط الطويل الأجل.

وهكذا تحولت مجموعة البحوث الاقتصادية إلى معهد للتخطيط القومى، وعينت مع الزميل أحمد حسنى، رحمه الله، كخبراء أوائل (تعادل أستاذ مساعد) بالمعهد. وتولى إبراهيم سعد الدين عبدالله سكرتارية المعهد. وبدأنا بدورات قصيرة لكبار العاملين، كان لها أطيب الأثر، خاصة ما قمنا به فى الإقليم الشمالى (سوريا) التى أشاد بها نائب الرئيس عبداللطيف البغدادى المشرف على التخطيط. وبعد إعلان الخطة القومية الأولى، وإجراء التعديلات التى صاحبت الدفعة الأولى من القوانين الاشتراكية، تحولت اللجنة إلى وزارة للتخطيط تولاها المهندس أحمد فرج، بينما تولى د.إبراهيم حلمى إدارة المعهد، فسرعان ما أثبت المعهد وجوده على الصعيد العالمى. وانضم إليه بنت هانسن الأستاذ السويدى الشهير مفضلا موقعه فى مصر على منصب مدير معهد بالسويد. واتخذ المعهد مبنى خاصا به فى شارع مظهر بالزمالك، وألحقت به مجموعة متخصصة فى فرع جديد هو بحوث العمليات برئاسة صلاح الدين حامد، وانتدب لها أساتذة من الجامعة، أمثال صليب روفائيل من كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، ومصطفى عامر من الهندسة، وزودوا بأول حاسب آلى يدخل الشرق الأوسط من طراز أ.ب.م 1620 خصصت له غرف مكيفة فى مبنى بشجرة الدر، كانت المفارقة أن صاحبه كان يبصم ولا يكتب.

وفى مجال التدريب نظم المعهد دورات سنوية للمبتدئين فى أجهزة التخطيط، فضلا عن مساعدى الباحثين بالمعهد، فدرس أساليب التخطيط معى رءوف عزيز غالى (استقر فى الولايات المتحدة) وسمير طوبار وعزة الجبالى، بينما تتلمذ على أحمد حسنى رمزى زكى وهناء خير الدين, وتعاون المعهد مع منظمة التعاون الاقتصادى والتنمية (OECD) فى بحث حول التخطيط الطويل الأجل للقوى العاملة، بعد أن ظهرت ضرورة النهوض بالكفاءة الإنتاجية

للبشر وإعدادهم فى وقت مناسب للمجالات الجديدة التى تساهم الخطط القومية فى إضافتها، ومغزى ذلك بالنسبة لتطوير التعليم. غير أن المعهد سرعان ما غاب عنه مديره الذى استعانت به الأمم المتحدة لإنشاء منظمة جديدة للتنمية فأقام منظمة اليونيدو ودافع بضراوة عن حقوق الدول النامية فى إحراز تقدم فى التصنيع يكسر حدة تبعيتها فيه للدول المتقدمة. وفى غيابه أسندت إدارة المعهد لوكيل وزارة التخطيط سيد جاب الله، فضعف نشاطه، وأبلغ بنت هانس زكريا محيى الدين رئيس الوزراء فى 1965 بعزمه على مغادرة المعهد ومصر بعد زواجه إحدى أقارب جرجس مرزوق وكيل البنك المركزى. واستقر رأى زكريا أن أترك موقعى كوكيل لجهاز المحاسبات وأتولى إدارة المعهد، فأعدت تنظيمه واعتمدت خطة بحثية من أربعة بحوث جماعية، أشرفت على إحداها الخاصة بالتخطيط البعيد المدى لأوفر خلفية تستند إليها الخطط الخمسية. وأشركت فيها مجموعة من الشباب المدرسين بالجامعة ليعززوا حصيلتهم النظرية بالواقع العملى، ضمت أحمد الغندور ومصطفى السعيد ومحيى الدين الغريب من الاقتصاد وحسن عوف من المحاسبة وفهمى بشاى من الزراعة وهو ما هيأ له أن يصبح من كبار خبراء الفاو.

وحينما عاد إبراهيم حلمى من فيينا فى 1974 أتاح له إسماعيل صبرى الذى انتقلت إليه إدارة المعهد فرصة تشكيل مجموعة بحثية للتخطيط بعيد المدى للبلدان العربية فى ظل تغيرات السبعينيات وبخاصة نصر أكتوبر وتدفق أموال النفط. واهتم بأساليب استشراف المستقبل التى طورها نادى روما، فكلفنى بقيادة مجموعة ضمت عزيز البندارى مدير مركز الدراسات السكانية وصلاح حامد وعلى نصار المتخصص فى بناء النماذج الرياضية وعلى أبو الليل من وزارة الكهرباء والوليد الشافعى من المعهد، توجهت فى منتصف 1975 إلى باريس لمقابلة اليوغوسلافى ميزاروفيتش خبير تحليل النظم، وحصلنا منه، دون مقابل، على نسخة من النموذج العالمى الذى بناه مع بستل، وطوره الوليد الشافعى ليمكن تشغيله على الحاسب آى.سى.إل لدى الجهاز المركزى للإحصاء. وقمنا بعرض نتائجه على رئيس الوزراء ممدوح سالم والتى بينت فوائد تعميق التعاون مع بلد عربى كالسعودية. وحينما بدأ السادات يتجه للتفاوض مع إسرائيل طلبت كوزير التخطيط من إسماعيل صبرى إعداد المعهد دراسة عن الخسائر التى سببتها إسرائيل لمصر للتفاوض حولها، فأعدها إبراهيم العيسوى وعلى نصار. غير أن الفكرة وئدت بإبعاد إسماعيل وشخصى عن موقعينا. ومضى المعهد فى إعداد تقارير التنمية البشرية بقيادة عثمان محمد عثمان، ثم توفير القاعدة التى أسس عليها إبراهيم العيسوى المشروع البحثى الضخم «مصر 2020». وكان من أحدث لقاءاتى مع المعهد اشتراك مديرته الحالية د. فادية عبدالسلام، معى فى تحرير كتاب لمعهد البحوث والدراسات العربية عن «منطقة التجارة الحرة العربية: التحديات وضرورات التحقيق».

تحياتى إلى هذا المعهد الذى ختمت حياتى العملية مستشارا فيه، وتمنياتى له بمواصلة الازدهار على يدى مديرته القديرة وأساتذته الأكفاء، ووقاه الله لوثات التغيير التى أطاحت بلفظ التخطيط من وزارته.

هذا المحتوى مطبوع من موقع الشروق

Copyright © 2025 ShoroukNews. All rights reserved